

معنى "ثعبان" "حية" و "جان" في قصة موسى

(دراسة دلالية)

الباحث: إخوان عملي

ikhwanamaly@yahoo.com

المدرس بجامعة الدراسات الإسلامية الأمين

الملخص:

إن السؤال المركزي في هذا البحث العلمي تتمحور حول الدراسة الدلالية في معنى ثعبان و حية و جان في قصة موسى عليه السلام. استعمل الباحث في هذه الدراسة العلمية بالتحليل الدلالي من إشارة القرآن الكريم بمنهج الهرمينوطيقا عند كلود ليفي ستروس بالمنهج البنيوي من خلال بحث استعمال وضع اللغة في قصة موسى عليه السلام. واستنتج الباحث من هذه الدراسة فهي علم الدلالة هو علم لدراسة المعنى، وهو فرع من فروع علم اللغة يتناول نظرية المعنى. يدرس العلاقة بين الكلمة اذا كانت منطوقة أو مكتوبة.

الكلمات المفتاحية:

معنى، و ثعبان، و حية، و جان

أ. المقدمة

القرآن هو كتاب مقدس الذي يشمل فيه التعاليم الأخلاقي العالمي للبشر في كل العصور. وبما أن الكتاب المقدس له مرتبة عالية في حياة الإنسان، فمن ثم يسلم المسلمون للتعبير دائماً تعاليمه بوصفه نصاً أن يقتصر على المشاكل الاجتماعية الإنسانية. وهكذا، فإن تعاليمه يمكن أن يكون طريق لحل مشكلة الحياة. وفقاً لقول مشهور الذي يقول "القرآن هو الكتاب الذي صالح بكل الأزمنة والأمكنة".¹

يستخدم القرآن طريقة القصة في تعبير تعاليمه مثل ما وجدنا في القرآن الكريم أن فيه قصص كثيرة وردت في القرآن. كقصة الأنبياء والمرسلين. نحن كمسلم لا بد أن نفهم القرآن ونقرأه وندبره كتوجيه الحياة. بوسيلة القصة تساعدنا على فهم القرآن بسهولة ونستطيع أن نخذ القيم والتعاليم والعبرة والحكم الموجودة فيها. ولقد بحث كثير من العلماء المفسرين عن القصص في القرآن الكريم بطريقة ومناهج متنوعة لمعرفة حقيقة القصة الواردة في القرآن.

ومن بعض القصص الأنبياء الواردة في القرآن يعنى قصة نبينا موسى عليه السلام. وردت قصة موسى في آيات متنوعة بأسلوب متساوية وهذه دلت على أهمية هذه القصة. ووجدنا فيها كلمة "الثعبان" "حية" و "جان" كانت هذه الكلمة الثلاثة تعتبر على وصف عصا موسى عليه السلام. لماذا يستخدم القرآن هذه الكلمة الثلاثة لتعتبر عن وصف عصا موسى؟ مع أن المعانى بينه متساوية. هذه هى التى أراد الباحث أن يبحثها بطريقة الدراسة الدلالية لمعرفة المعانى الحقيقية فيها. في هذه المقالة، أراد الباحث أن يحلل موضوع بحثه على صغاية المشكلة على النحو التالي: ما هو تعريف

¹ 'Abdul Mustaqim, Epistemologi Tafsir Kontemporer, cet. II, (Yogyakarta: PT. LKiS Printing Cemerlang, 2012), h. 1

الدراسة الدلالية؟ كيف فسر المفسرون كلمة "الثعبان" "جان" و "حية" فى قصة موسى؟ كيف معنى كلمة "الثعبان" "جان" و "حية" فى قصة موسى بمقاربة علم الدلالة؟

ب. تعريف علم الدلالة

كان علم الدلالة مرتبطاً بعلم البلاغة التقليدية فى الثقافة الغربية القديمة، مصدر الفعل دلّ، وهو من مادة (دل) التى تدل فيما تدل على الإرشاد إلى الشئ والتعريف به ومن ذلك "دله على الطريق، أى سده إليه"، وفى التهذيب دللت بهذا الطريق.

الدلالة كما عرفها الجرجانى هى كون الشئ بحالة، يلزم من العلم به، العلم بشئ آخر، والشئ الأول هو الدال، والثانى المدلول وهذا معنى عام لكل رمز إذا عُلم، كان دالا على شئ آخر ثم ينتقل بالدلالة من هذا المعنى العام، إلى معنى خاص بالألفاظ باعتبارها من الرموز الدالة.² وترتبط دلالة لفظ "الدلالة" فى الاصطلاح بدلالته فى اللغة، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق، وهو معنى حسى، إلى معنى الدلالة على معانى الألفاظ، وهو معنى عقلى مجرد.

علم الدلالة مصطلح حديث اول من وضعه العالم الفرنسى اللغوي برايل فى سنة 1897، وقد اسماه السيمانتيك، (كما اطلقت عليه اسماء فى اللغة الانجليزية (semantic) اشهرها الان كلمة سيمانتيك.

فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005 م، ص: 11. 2

يُعنى علم الدلالة بدراسة المعنى، وهو فرع من فروع علم اللغة يتناول نظرية المعنى.³ وعلى ذلك فعلم الدلالة يدرس العلاقة بين الكلمة اذا كانت منطوقة أو مكتوبة وما تدل عليه فمدلولها اما ان يكون شيئاً، والشيء المحسوس له واقع خارجي أو مشخصاً، وهذا يعني أيضاً الوجود الخارج من الذهن، وتدل الكلمة أيضاً على فكرة تشير الى ما هو موجود في الذهن او حدث خارجي. اما الدلالة في القصة فهي تتكون من مجموعة دلالات لغوية تحيل الى مدلول معين. اذ ان كل ما في القصة له دلالة حتى الضمائر تؤدي دوراً في بناء القصة ودلالاتها اذ تتوافق وتنسجم البنية العامة للقصة مع بنيتها التعبيرية.

ت. أراء المفسرين عن معنى "ثعبان" "حية" و "جان" في قصة موسى

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ
يُمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ⁴

وعندما لاحظنا قصة موسى المذكورة سوف وجدنا كلمة "ثعبان" "حية" و "جان"، وهذه كلها تحكي عن وصف العصا كمعجزة لنبيينا موسى. و مفسرون يحللون على ذلك. وقال زمخشري ان المعنى من كلمة "حية" هي اسم من نوع من الثعابين التي تنطبق على جميع أنواع الثعابين سواء الذكور والإناث، الصغيرة والكبيرة. وأما كلمة "جَان" تستخدم عادة للإشارة إلى الثعابين الصغيرة. وكلمة "ثعبان" لنوع من الثعابين الكبيرة. لذلك، عندما عصا موسى تغير إلى ثعبان في بدايته على شكل ثعبان صغير غير رشيقة، ثم الحصول على أكبر وأكبر، حتى يصبح ثعبان عملاق كبير جدا. لذلك ما يراد بكلمة "جَان" هو الشكل الأول، وكلمة "ثعبان" هو الشكل الآخر.⁵

أحمد مختار عمر، علم الدلالة (كويت : دارالعروبة للنشر والتوزيع، 1982)، 2 3

سورة القصص: 314

زمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل والعيون الأقال في وجوه التأويل، (بيروت: دارالمعارف، 2009)، 654-653

أو يمكن تغييره إلى ثعبان كبير ولكن لديه حركته رشيقة مثل ثعبان صغير.⁶ هكذا هي من آراء المفسرين في حل هذه الكلمة المختلفة التي مستخدمة في هذه الآية. ولكن لم تجد عن حقيقة المعاني عن مراد هذه الآية وعبرتها وسياقاته والمعاني المخفية فيها كما أراد الله تعالى.

ج. معنى "ثعبان" "حية" و "جان" في منظور علم الدلالة

1. حية

إستخدم القرآن الكريم في السور التي فيها سياق خطاب تكليف لموسى. لدلالة على أن عصا موسى الجماد التي ليس بها حياة انقلبت حية فيها حياة وهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الله لأن الحياة لا تكون إلا بأمره وقدرته. وهذه هي المعجزة التي ستقابل بها موسى.

أن السياق هذه الآية، يحكي عن قصة حينما حاور موسى مع الله عز وجل. قال خلف الله أن الغرض من هذه الآية هو ليسلى نبينا موسى والقضاء على الشعور التي تعاني من اضطراب.

في هذا الغرض، بحيث تعرض القصة بشكل لطيف، لجعل موسى يشعر بالمطمئنة والسكينة، والقضاء على كل الحزن. لذلك إستخدم كلمة "حية" في وصف نوع من الثعابين. استخدام كلمة "حية" هي مناسبة في هذا لحال، لأن كلمة "حية" هي نوع من الثعابين التي لا تجعل موسى خائفا حينما رأى ذلك.⁷

2. ثعبان

. ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، (رياد: دارالطبعة، 1999) 279⁶

. محمد أحمد خلف الله، في الفن القصص في القرآن الكريم، (بيروت: سينا للنشر، 1999)، 171⁷

إستخدم القرآن الكريم لفظ "ثعبان" في سياق المواجهة مع فرعون وقومه لإخافتهم وبثّ الرعب في قلوبهم وإظهار عظمة المعجزة فالعصا لم تتقلب مجرد حية صغيرة أو جانّ وإنما ثعبان ضخم طويل ولذلك ألقى السحرة ساجدين بعدما رأوا هذه المعجزة العظيمة أنها حقيقة وليست خيالية ووهمية كما يزعمون بسحرهم.⁸ لذلك، إستخدم كلمة ثعبان مناسبة ليوثق فرعون وإتباعه الذين يشككون بأن نبينا موسى رسول الله.

3. جان

إستخدم القرآن الكريم في سياق الحديث عن التجربة العملية لموسى على معجزته حتى يتدرب عليها ولا يخاف فجاء وصفها بأنها جانّ أي حية صغيرة خفيفة سريعة في حركتها حتى لا يخاف موسى ولهذا جاء بعدها في الآيتين الطلب من موسى ألا يخاف. ولو أن الله تعالى في هذه التجربة العملية ذكر لفظ ثعبان أو أفعى أو غيرها لخاف موسى بطبيعته البشرية أن يلتقطها ولكن وصفها على أنها جانّ وصغيرة لعله يتشجع فيلتقطها.

د. الإستنباط

من هذه المقالة نستطيع أن نستنبط على ما يلي:

1. علم الدلالة هو علم لدراسة المعنى، وهو فرع من فروع علم اللغة يتناول نظرية المعنى. يدرس العلاقة بين الكلمة اذا كانت منطوقة .

. محمد أحمد خلف الله، في الفن القصص في القرآن الكريم، (بيروت: سينا للنشر، 1999)، 1728

2. كلمة حية بشكل لطيف مستخدمة للدلالة على أن عصا موسى الجماد التي ليس بها حياة انقلبت حية فيها حياة وهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الله لأن الحياة لا تكون إلا بأمره وقدرته. ليسلى نبينا موسى والقضاء على الشعور التي تعاني من اضطراب التي يشعرها.
3. إستخدم كلمة ثعبان لمواجهة فرعون وقومه الذين يشككون عن معجزة موسى ويطلبون الحجة عن حقيقة معجزته. لذلك تصور ثعبان بشكل كبير وغظيم ليقن فرعون وقومه بان هذه المعجزة حقيقية وليست خيالية.
4. إستخدم القرآن الكريم كلمة جان في سياق الحديث عن التجربة العملية لموسى على معجزته حتى يتدرب عليها ولا يخاف منها.

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

زمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل والعيون الأقال في وجوه التأويل، بيروت: دارالمعارف، 2009.

محمد أحمد خلف الله، في الفن القصص في القرآن الكريم، بيروت: سينا للنشر، 1999

إبن كثير، تفسير القرآن الكريم، ريادة: دارالطبية، 1999

أحمد مختار عمر، علم الدلالة كويت : دارالعروبة للنشر والتوزيع، 1982

إبن منظور، لسان العرب (مادة: غرب).

الراغب الأصفهاني، المفردات.

عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن.

فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة،

2005

‘Abdul Mustaqim, Epistemologi Tafsir Kontemporer, cet. II, (Yogyakarta: PT. LKiS Printing Cemerlang, 2012),